هل أنت قلق من المسلمين؟

إذا كنت كذلك فإنّك لست وحدك في هذا القلق. فالتقارير التي تعرضها وسائل الإعلام، وبعضها بالصوت والصورة، تعرض بعض المسلمين وهم يقومون بهجمات قاتلة على إحدى قنصليّات الولايات المتّحدة ، وتعرض بعض المسلمين الآخرين وهم يحرقون أعلاماً أمريكيّة وتماثيل صغيرة تمثّل الرئيس الأمريكي، كلّ ذلك قد يوحي للمرء أنّه لا يكفي أن يشعر بالقلق، بل يحقّ له أن يشعر بالخوف. كانت جامعة كورنيل قد أجرت استطلاعاً قبل هذه المشاهد الصادمة على التلفاز بعدّة سنوات، وظهر من خلال الاستطلاع أنّ حوالي نصف عدد المشاركين فيه يطالبون بأنّ تحدّ الحريّات المدنيّة التي يتمتّع بها كلّ الأمريكيّون المسلمون. وأظهرت الاستطلاعات التي أجريت بعد الاستطلاع المذكور أنّ المشاعر المعادية للمسلمين بين الأمريكيّين ظلّت في تصاعد حتّى الآن. أمّا بالنسبة لي فقد كنت في سنّ الحادية والخمسين وبعد أن كنت أحد نوّاب الكونجرس لمدّة عشرة أعوام قبل أن ألاقي أيّ مسلم عن قصد. ومع ذلك فقد مرّت بي في الجزيرة العربية خبرة غيّرت حياتي في السبعينيّات من القرن العشرين، وتبيّن لي مقدار ما ينقصني من معرفة الواقع. ومن ثمّ انهكمت على مدى العقد التالي في خبرة نشطة في الكابيتول هيل (مقرّ الكونجرس) أتابع أحوال العالم الإسلاميّ. والأهمّ من ذلك أنّه كان من حسن حظّي أنّني تعرّفت على عدد غير قليل من المسلمين.

إنّني بروتستانتي من نظام المشيخانيّة، ولكن حتّى بعد أن تركت مهنتي السياسيّة كعضو في الكونجرس فقد أبقيت على اهتمامي السياسيّ والشخصيّ بالمسلمين وبعقائدهم. وإليكم بعض ما توصّلت إليه من حقائق:

- إنّ المسلمين، شأنهم شأن المسيحيّين واليهود، يعبدون الله الواحد. والإسلام والديمقراطيّة متوافقان ومتكاملان. فكلا الديمقراطيّة والإسلام يقومان على المسؤوليّة، وتبادل الآراء، والتمثيل ورأي الأغلبيّة.
- يحترم المسلمون أنبياء الكتاب المقدّس، ويشعرون تجاه المسيح وأمّه مريم العذراء باحترام خاصّ، ويعتقدون بقداسة الكتب التي علّمها موسى وعيسى. ونساء المسلمين لهنّ مثل الرجال الحقّ في الحصول على التعليم، والملكية، وفي إدارة عمل خاصّ، وفي التخصّص في مختلف المهن، وفي المشاركة في الحياة العامّة. فإذا وجد مجتمع يضطهد النّساء أو تعاني المرأة فيه من التمييز ضدّها، فإنّ هذا يحدث مخالفاً للإسلام، لا بسبب الإسلام.
- من المؤسف أنّ بعض الناس الذين ينتسبون إلى الإسلام، كما هو الحال عند بعض من ينتسبون إلى المسيحيّة أو اليهوديّة، يعتدون بأسوأ الصور على حقوق الآخرين، وعلى الأنظمة. وهم حين يفعلون ذلك فإنّ سلوكهم لا يكون إسلاميّاً.

إنّ في الولايات المتّحدة اليوم ما لا يقلّ عن ستّة ملايين مسلم، منهم عدد من أقوى رجال الأعمال، ومنهم من يعمل في الفنّ، أو في التعليم، أو في القانون، أو في الرياضة. وكان محمّد علي، الملاكم الذي اعتزل الملاكمة، وهو مسلم أمريكيّ، قد نال من الشهرة أكثر من أيّ مسلم آخر، كذلك كسب الدكتور أحمد زويل، وهو عالم مسلم مستقرّ في كاليفورنيا، جائزة نوبل. أضيف هنا أنّني أعتقد أنّ كلّ المسلمين عمليّاً هم مواطنون ملتزمون بالقانون. غير أنّ كثيراً من الأمريكيّين، وخاصّة هنا على الأرض الأمريكيّة، لم يحادثوا مسلماً عن قصد، ولم يقرأوا آية من آيات القرآن، وهو كتاب المسلمين الذي يحتوي كلام الله. قد لا يستغرب إذن أن يربط كثير من غير المسلمين ربطاً خاطئاً بين الإسلام والعنف، هذا لأنّ نشرات الأخبار تكاد تجمع حين الحديث عن سلوك أحد المسلمين على أنّ هذا الشخص ينتمي إلى الدين الإسلامي، بينما لا تربط هذا الربط حين تذكر أشخاصاً ينتمون لدين آخر.

ما سبب الإسلاموفوبيا؟

كلّ المسلمين الأمريكان الذين أعرفهم فخورون بأنّهم أمريكيون، وهم يهتمّون بأن يكونوا مواطنين صالحين وجيراناً صالحين. فالسؤال إذن ما سبب هذا الانتشار المفاجئ للإسلاموفوبيا (الخوف المرضي من الإسلام)؟ لا شكّ أنّ السبب الرئيسيّ في ذلك هو حادثة تفجيرات 11 أيلول/سبتمبر 2001. كانت الحادثة الفاجعة قد قتلت على الفور حوالي 3000 إنساناً، منهم من كان في بنائي التجارة، ومنهم من كان في الطائرات المهاجمة. كان الهجوم جريمة نكراء اتّهم بها مجموعة يقولون إنّهم مسلمون من المملكة العربيّة السّعوديّة. وقد استنكر الحادثة على الفور كبار المسلمين المتحدّثين باسم الإسلام في الولايات المتّحدة ضمن مؤتمر صحفيّ في واشنطن العاصمة. وممّا يسجّل للرئيس بوش أنّه حذر الجمهور الأمريكيّ من وضع اللائمة على المسلمين حول هذا الهجوم. فالمسلمون يكرهون الإرهاب، ومن المؤسف أنّ أكثر الأمريكان لا يزالون يجهلون أنّ اقتراف الانتحار وقتل الناس الأبرياء هي ذنوب كبيرة في الشريعة الإسلاميّة. كما إنّ من المؤسف أنّه لا إدانة الشخصيات الإسلاميّة ولا تحذير الرئيس بوش قد لاقت اهتماماً كبيراً من وسائل الإعلام. لقد أغرقت هذه التصريحات في صور تتفطّر لها القلوب على شاشات التلفاز عن الموت والتدمير على الأرض الأمريكيّة. لقد ساعد هذا الطوفان من الوصف والتصوير في تزايد شعور الأمريكان بالغضب تجاه المسلمين، وهو شعور قد بدأ يتصاعد وينمو بسرعة حتّى قبل تلك الأحداث. لقد شعر ملايين الأمريكان بالهلع، دون أن يكون لهم علم يذكر بالإسلام، من أن تحدث تفجيرات أخرى، فانتشر بينهم نظرة ريبة لا تقوم على أساس نحو كلّ المسلمين، وكان السبب البسيط لدى الأكثرين أنّ كلّ المتّهمين يقولون إنّهم مسلمون. كان من نتيجة أحداث أيلول/سبتمبر 2001 أن أمر الرئيس بوش بحربين متتاليتين أولاهما ضدّ أفغانستان والأخرى ضدّ العراق، وكلاهما بلدان مسلمان، بتكاليف عالية وبدون نتائج حاسمة. بلغت الوفيّات بين

الأمريكان في هذين الحربين، بالإضافة لضحايا أحداث أيلول/ سبتمبر 10325 ضحيّة، وهو رقم مذهل يحقّ للولايات المتّحدة أن تحيي ذكراه الحزينة الباكية في كلّ أرجائها في الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر من كلّ عام. يندر أن يلاحظ أحد في أمريكا الحقيقة المرّة أنّ المسلمين الذين قتلتهم قوات الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق يفوق ما فقدته هذه البلاد بنسبة 26 مرّة. فقد قتل الجنود الأمريكان منذ عام 1975 من المسلمين ما مجموعة 260 ألفاً، أكثرهم في هذا القرن، بدون دليل يذكر على أنّ أيّاً منهم عليه أيّة مسؤوليّة عن أحداث أيلول/سبتمبر، أو قام بأيّة أعمال إرهابيّة. [انظر الهامش في آخر كتاب: لماذا يكرهوننا؟ من تأليف البروفسور سيتفن والت من جامعة هارفارد، في موقع نيو فورين بوليسي دوت كوم، بتاريخ العشرين من شهر تشرين ثاني/نوفمبر، من عام 2009]. لا شكّ أنّ صرخات الأسى لا تزال تتردد في بيوت كثيرة في الولايات المتحدة كما في الشرق الأوسط وكأنّها هزيم الرّعد. فعويل الثكالى من الأمّهات والزّوجات هو واحد حين يصدر من هنا أو هناك، ولكنّ النساء الثكالى في البلاد الإسلاميّة أكثر بكثير ممّا هنّ في الولايات المتّحدة.

من هم "خصوم ديمقراطيّتنا"؟

وقع الرئيس بوش، في معرض تبريره لحربي أفغانستان والعراق، في خطأ فادح. فقد ابتكر وأشاع على أوسع مدى عبارة مقولبة مشؤومة، لعلّها أسوأ عبارة مقولبة أثراً في كلّ التاريخ الحديث. فقد اتّهم بالضلوع في أحداث أيلول/ سبمتبر 2001 من سمّاهم "الإرهابيين الذين يكرهون ديمقراطيّتنا". كان أثر هذه العبارة المؤسفة التي تضرب على وتر سوء النيّة أثراً مدمّراً. فهي عبارة كاذبة، وهي أبعد ما يكون عن الواقع. فأنا لم أصادف أيّ مسلم، في هذه البلاد أو خارجها، وسواء أكان "إرهابيّاً" أو محبّاً للسلام، يكره الحرّيات التي يتمتّع بها الأمريكان. بل إنّ كلّ المسلمين الذي أعرفهم يحبّون الحريّات التي نتمتّع بها حبّاً شديداً، ولكنّ ما يكرهونه هو سياساتنا التي يرون أنّها معادية للمسلمين، وهي سياسات أدّت في واقع الأمر إلى قتل عشرات ألوف المسلمين الأبرياء. لقد كان المضمون الواضح لعبارة بوش التي اتّهمت نيّات الناس أن وضع كلّ المسلمين في خانة الاتّهام بلا هوادة، وبدون أيّ إنصاف. وقد كرّر بوش كذبته مرّات عديدة في مناسبات عامّة. ولا شكّ أنّه ضلّل كثيراً من الأمريكيّين، ربّما الملايين منهم، بحيث جعلهم يقبلون عبارته على أنّها حقيقة. فقد لاحظت في أثناء حديثي إلى مجموعات من الأمريكان في أكثر من عشرين تجمّعاً كبيراً في أعقاب أحداث أيلول/سبتمبر أنّ تصوّراً خاطئاً عن الإسلام قد أصبح تهديداً ضخماً لسلامة حياتنا القوميّة.

لقد لخّصت مها زهري من ليما، وهي مسلمة لي معها صداقة طويلة، لخّصت في أوهايو هذا التحدّي بقولها: "إنّني كثيراً ما أشعر بوخز في قلبي من الصور المقولبة حول المسلمين، وأنا أعلم أنّني لست وحيدة في هذا الشعور. فالمسلمون الأمريكيّون مواطنون ملتزمون بالقانون، ولكنّهم يعانون جميعاً

الآن من إصدار الأحكام المسبقة عليهم، وسماع الملاحظات البغيضة، والكتابات القبيحة عنهم على الجدران، بل ويعانون أحياناً من إشعال الحرائق في ممتلكاتهم وغير ذلك من أشكال العنف. لا شكّ أنّ الوضع مؤسف أشدّ الأسف."

لقد انتشر المدّ المعادي للمسلمين بسرعة عبر الولايات المتّحدة، لأنّ هذه البلاد تلقّت أخباراً مغلوطة عن الإسلام. وقد أخذ الغضب في كانون أول/ديسمبر من عام 2012 شكل البغضاء القاتلة. فقد قامت امرأة فقدت صوابها بدفع غريب ظنّته مسلماً إلى سكّة قطار الأنفاق في مدينة نيويورك، حيث دهسه القطار ولاقى حتفه. وحينما استجوبتها الشرطة قالت المرأة إنّ أحداث أيلول/سبتمبر من عام 2001 جعلتها تبغض كلّ المسلمين. أمّا أشد شواهد الإسلاموفوبيا بروزاً فقد ظهر إلى العيان في عام 2004 في استطلاع جامعة كورنيل. فقد ظهر من خلال الاستطلاع أن 44 بالمئة من المواطنين الأمريكيّين الذين شاركوا في الاستطلاع عبّروا عن ريبتهم الشديدة بالإسلام حتّى إنّهم طلبوا بتحديد الحريّات المدنيّة لكلّ المسلمين الأمريكان. [هامش: نشرت هذا الخبر اسوشيتد برس، في إيثاكا، نيويورك، في 18 كانون الأول/ ديسمبر، 2004، نيوز-ديموقراط، ص. 7أ] وهذه مقتطفات من الدراسة: "صرّح حوالي 27 بالمئة من المشاركين في الاستطلاع أن كلّ المسلمين الأمريكان يجب أن يسجّلوا مكان وجودهم لدى الحكومة الديمقراطيّة، وصرّح 26 بالمئة أنّ المساجد يجب أن يجري وضعها تحت المراقبة الدقيقة لوكالات تطبيق القانون الأمريكيّ. وقال 29 بالمئة أنّه يجب أن يقوم عملاء تطبيق القانون بالتغلغل بين صفوف المنظّمات الإسلاميّة المدنيّة والتطوّعيّة حتّى نتأكّد من وضع الضوابط اللازمة على نشاطاتها وجمعها للتبرّعات. ومن جانب آخر صرّح 48 بالمئة من المشاركين من مختلف أنحاء البلاد أنّهم لا يعتقدون أنّ الحريّات المدنيّة للمسلمين الأمريكان يجب تقييدها." قال أكثر المشاركين في الاستطلاع إنّهم ليس لديهم معرفة شخصيّة بأحد المسلمين.

لقد انطلقت المشاعر المعادية للإسلام بعد الاستطلاع المذكور، فقد تبيّن من خلال استطلاع أجرته مؤسّسة جالوب في يناير/كانون الثاني من عام 2010 أنّ 43 بالمئة من المواطنين الأمريكان أقرّوا بشعور غير طيّب تجاه الإسلام، وأمّا المشرفون على الاستطلاع فقد قالوا إنّ النسبة المذكورة، وهي 43 بالمئة، هي أقلّ من النسبة الحقيقيّة. [هامش: مجموعة جالوب، خدمة صفر للأخبار الدينيّة، 25 كانون الأول/يناير، 2010] صدرت بعد ذلك التاريخ تشريعات في أكثر من ثلاثين ولاية أمريكيّة لمنع المحاكم من الإشارة للشريعة الإسلاميّة، وهي مجموعة القوانين التي تطبّقها عدد من الدول الإسلاميّة. كان هذا ردّ فعل طبيعيّ يعكس الموقف المعادي للمسلمين، كما يعكس الجهل الذي تنطوي عليه إجراءات المحاكم. فالقضاة والمحامون لا بدّ لهم من التوافق مع الشريعة حينما يتعاملون مع العقود، ومنها عقود الزواج، التي تجري في البلاد الإسلاميّة التي تكون فيها الشريعة هي النظام القانونيّ الرسميّ. [هامش: "انظر إلقاء اللوم على الإسلام" من تأليف جون ر. باون، ص. 99] وحسب علمي أنّه لا

يوجد مسلم أمريكيّ يوصي بفرض الشريعة كبديل للنظام القانوني الأمريكي، ومع ذلك فإنّ الاستطلاعات التي تجريها مؤسّسة كير "مجلس العلاقات الأمريكيّة–الإسلاميّة" كلّ عام تظهر أن جرائم البغضاء الناجمة عن كراهيّة المسلمين، وتخريب ممتلكات المسلمين تتزايد على الدوام.

مكتب التحقيقات الفيدراليّ والجيش الأمريكي يفقدان الصّواب

أصابت مشاعر كراهية الإسلام المتطرّفة قواد الجيش الأمريكيّ والقواد المدنيّين لمدة عدة أشهر، أثناء حضورهم دورة كان المحاضر فيها مقدّماً من الجيش الأمريكي اسمه ماثيو دولي أقيمت في كليّة القوّات المشتركة لأركان الحرب، في نورفولك بولاية فرجينيا. لكنّ المقدّم ضلّل مستمعيه حين أخبرهم أنّ المسلمين "يكرهون كلّ شيء تمثّلونه، ولا يمكن أن يتعايشوا معكم ما لم تستسلموا لهم." وصرّح أنّ الإسلام نفسه، "وليس المتطرّفين المسلمين وحدهم" هو العدوّ. وقال إنّه قد يكون هناك حاجة لتدمير المدن الإسلاميّة المقدّسة مثل مكة والمدينة والمدن المكتظة بالمسلمين بغارات من القنابل، دون اعتبار للخسائر المدنيّة. وقد أعفي دولي من مهمّته التعليميّة في نيسان/ابريل من عام 2012.

مثل هذه الصور المقولبة البشعة عن المسلمين وصلت كذلك إلى الكتيّبات التدريبيّة لمكتب التحقيقات الفيدراليّ، فقد جرى تحذير عملاء المكتب أنّ من المحتمل أن يكون عموم المسلمين في الولايات المتّحدة متعاطفين مع الإرهاب، وأنّه كلّما كان المسلم "أكثر تقوى" زاد احتمال أن يكون "أكثر عنفاً". [هامش: انظر يو إس إي تودي، عدد 11 أيار/مايو، من عام 2012، ص 10أ] وفي آب/أغسطس من عام 2012 دعت موظّفة محترفة في الأمم المتحدة إحدى معارفها من أيام الدراسة المبكرة أن تزورها في مراكش بالمغرب، حيث اتخذت لنفسها سكن التقاعد. اندهشت صديقتها لهذه الدعوة، وكان تعليقها: "هل يكون المرء في أمان حين يزور بلداً مسلماً مليئاً بالإرهابيّين، أعني هل يكون المسيحيّ المسالم آمناً في مثل تلك الزيارة؟" كان هذا السؤال صدمة بالنسبة للموظفة المتقاعدة، فقد عكس جهلاً بأحوال المغرب وبالإسلام، وبالتعصب الذي يعزّزه الخوف الذي لا مبرّر له.

كان أحد أسباب حرق الأعلام والتماثيل المصغّرة للرئيس فيلم أنتج في أمريكا فيه إشارات مهينة للنبيّ محمّد، فهو نبيّ يعظّمه كلّ مسلم، إنّ كلّ مسلم يعتقد أنّ الله أوحى القرآن إلى النبيّ محمّد بنصّه الكامل، فلا يتصوّر المسلمون أن يوجّه النقد إلى النبيّ محمّد. لقد قال لي كلّ المسلمين الذين اتصلوا بي في أعقاب العنف الأخير للمسلمين إنّهم يعترضون بشدّة على الفيلم، ولكنّهم يدينون بشدّة أيضاً استخدام العنف في التعبير عن الاحتجاج.

قد يكون أحد أسباب العنف ردّ فعل للغضب الإسلاميّ المحتقن ضدّ المشاركة الأمريكيّة في معاناة المسلمين في فلسطين، والأعمال الحربية للولايات المتّحدة التي أودت بحياة عشرات الألوف من المسلمين على مدى السنوات القليلة الماضية. لقد باشرت قواتنا الحربيّة منذ فترة قريبة في أعمال قتل

لأفراد مستهدفين بواسطة طائرات بدون طيّار في ثلاث دول جديدة مسلمة غير المستهدفة في السابق، وهي الباكستان واليمن والصومال. والهدف المعلن لهذه العمليّات هو قتل قادة القاعدة، وهي منظّمة تصنّفها حكومتنا على أنّها منظّمة إرهابيّة. والقتل عن طريق الطائرات بدون طيّار عمليّات يدور حولها الجدل، لأنّها تجري بدون مراجعة قضائيّة، وبدون الإجراءات اللازمة الأخرى. كلّ ضحايا هذه العمليّات من المسلمين، وهي حقيقة يغلب أن تزيد من الإسلاموفوبيا.

غضب يعتمل في القلوب

قد يكون الإسلام قد أصبح في هذا الوقت من الجدال المحتدم المصرف الطبيعيّ للأشخاص الذين يحملون معلومات مغلوطة يبحثون عن أشخاص يرمون عليهم كلّ اللّوم. فأكثر الأمريكان يعرفون القليل جدّاً، أو ربّما لا شيء عن الإسلام. فقد أظهرت دراسة نشرت بعد بحث أجرته منظّمة بيو، وصدرت في عام 2009، النتائج التالية: "إنّ الأشخاص الذين تعرّفوا إلى أحد المسلمين هم أبعد من أن يروا الإسلام محرّضاً على العنف؛ وكذلك فإنّ الأفراد الذين لديهم احتكاك جيّد بالإسلام والمسلمين يغلب أن يصرّحوا بآراء طيّبة حول المسلمين وأن يلاحظوا التشابهات بين الإسلام وبين الأديان الأخرى."

كان الذي دفعني إلى كتابة هذا التقرير هو انزعاجي العميق لشدّة المشاعر المعادية للإسلام، وبنيت التقرير على خبرتي الشخصيّة مع المسلمين. حصل بعد شهر من قراري كتابة هذا التقرير أن وصلني إيميل جاء في وقته ليعطيني لمحة عن عائلة مسلمة يلتزم أفرادها التزاماً دقيقاً بأوامر الإسلام. كان الإيميل من مها زهري، وكانت تصف ما حصل في أحد صفوف الدراسة. كان طلاب أحد الصفوف يدرسون اللغة الإنجليزية في جامعة أوهايو الحكوميّة في ليما قد شاهدوا فيلماً يعرض أباً مسلماً نذلاً يستخدم العنف ضدّ زوجته وابنته، وقدّم الفيلم بعدها مها زهري، والتي تحدّثت عن طفولتها في مصر، وحياتها كامرأة في أمريكا. وهاهي بعض تعليقاتها: "الإسلام الذي أعرفه دين رحمة، فأثناء طفولتي في مصر علّمني والداي أن أعامل الناس معاملة مستقيمة، وأن أهتمّ بالفقراء، وأن أحسن إلى الجار، وألاّ أكذب، وأن أعامل الحيوانات معاملة رحيمة، إلى غير ذلك من المواقف الأخرى. ورأيت والدي يعامل والدتي معاملة احترام ويشعرها أنّه فخور بها. كنت أراها مكافئة لأبي في كلّ أمور الحياة المنزلية وقرارات الحياة. وتعلّمنا في بيتنا أنّ المسلمين واليهود والمسيحيّين هم جميعاً أهل الكتاب، وأنّ علينا أن نحترم ونقدّر هذين الدينين، وليس الإسلام فحسب. يعتقد كثيرون من الغربيّين عن خطأ أنّ النساء المسلمات مضطهدات. وهذا غير صحيح، فالمرأة في الإسلام لها الحقّ في اختيار زوجها، ولها الحقّ في طلب الطلاق، ويضع الإسلام الأمهات في منزلة رفيعة."

وصلت مها زهري وعائلتها الشابّة إلى أمريكا في عام 1982، وذلك قبل انتهاء عملي كنائب في الكونجرس بعدّة شهور. وقد وصفت مها زهري للطلاّب ردّ فعل عائلتها لكارثة أيلول/ سبتمبر من

عام 2011 وما تلاها: "في وقت متأخر من تلك الليلة نقر ولدنا اليافع على باب غرفة نومنا وقال إنّه لا يستطيع النوم. قال إنّه في كلّ مرّة يحاول إغلاق عينيه يتصوّر المصابين في كرسيّ العجلات لا يستطيعون مغادرة البنائين المحترقين، ويتصوّر آخرين يقفزون من النوافذ ليلاقوا موتاً محتوماً. لقد قضينا تلك الليلة دون أن نذوق النوم. لقد شعرنا بالأسى للناس الأبرياء الذين قتلوا في تلك الكارثة، وكنّا ندين التفجيرات الانتحاريّة. كان من سوء الحظّ أنّ تلك الفظائع أُبرزت للناس كذباً على أنّها اقترفت باسم الدين الإسلاميّ. أمّا الحقيقة فهي أنّ المجرمين الذين نفّذوا تفجيرات أيلول/سبتمبر قد خالفوا الشرع الإسلاميّ. ومع ذلك فإنّنا تبيّنا أنّ تلك الأحداث يمكن أن لها جانب طيّب. لقد بدأ المسلمون يتحدّثون ويوضّحون دينهم. لقد كنّا فيما سبق تلك الأحداث سلبيّين حول ديننا، وبقينا صامتين حين كانت هوليوود وغيرها تعرض صوراً مقولبة غير طيّبة عن المسلمين. أمّا الآن فقد بدأنا نتحدّث إلى مواطنينا الأمريكان الآخرين عن حقيقة الإسلام." أمّا كلماتها الأخيرة فكانت كما يلي: "أرجوك أن تتذكّر أنّك ستجد في أيّ دين أو ثقافة أو بلد أو مجتمع بعض الطيّبين وبعض الفاسدين، وبعض المنحرفين." حينما انتهى حديث مها زهري قفز الطلاب واقفين وبدأوا بالتصفيق. وصرّحت معلّمتهم بعد شهرين من تلك المشاهدة بما يلي: "صرّح بعض الطلاب في المقالات التي كتبوها أنّهم صاروا يدركون الآن بعد حضورهم لهذه الدروس أنّ أفكارهم التي كانوا يحملونها قبل الدروس مليئة بصور مقولبة عن الإسلام." علينا أن نقول إنّ وصف مها زهري لطفولتها المثاليّة وشبابها قد لا تكون الصورة النمطيّة للأسرة المسلمة، خاصّة في البلاد التي تختلط فيها العادات القبليّة مع تعاليم الإسلام. لكنّ الطلاب حصلوا من خلال سماعها على الخطوط الرئيسيّة للسلوك الذي يعلّمه القرآن. وكلّ ما آمله أن يكون من حظّ صفوف كثيرة أن يحصلوا على وصف دقيق للإسلام. يتساءل المرء لماذا لا يحاول الكونجرس أبداً أن يعدّل التحيّز في سياسات الولايات المتّحدة تجاه الشرق الأوسط، رغم التهديد الذي يمثّله حمل تصوّرات زائفة عن الإسلام. لقد أظهر استطلاع أجرته منظمة كير " CAIR : مجلس العلاقات الأمريكية–الإسلاميّة" وجود حالة شديدة من الخوف: "إذا وضعنا مقياساً من عشر درجات، بحيث تكون درجة واحد أدناها، وتعني أمريكا بدون أيّ إسلاموفوبيا، وعشرة تعني أشدّ حالات الخوف من المسلمين ... فإنّ القراءة الحاليّة تبلغ 6.4." [هامش: منظّمة كير، "الكراهية كهدف"، شهر 1، 2011]. لقد أتى زمان كانت فيه أمريكا المثل الأعلى في مختلف أرجاء العالم، ولكنّها الآن هدف لتهجّم الناس عليها على نطاق واسع. والسبب هو أنّ حكومتنا تغرق في مستنقع من التحيّز الهمجيّ.

جوانب مشرقة

غير أنّ المشهد لا يدعونا إلى اليأس المطبق. فقد مرّ بي من خلال خبرتي الشخصيّة تطوّرات إيجابيّة. ففي عام 2011 قام المحسن خلف الحبطور، من دبي، بتبنّي رعاية والإنفاق على مسابقة مقالة طلابيّة

في كلّيّة إلينوي حول العلاقات بين الشرق والغرب، ورعى سلسلة محاضرات سنويّة مستمرّة حول نفس الفكرة. وسجّلت مؤسسّة هوب، وهي مؤسّسة كان قد أسسها عالم مسلم اسمه فهيم قبين رحمه الله، عشرات من الطلاب الفلسطينيّن، كلّهم تقريباً من المسلمين، على حسابها في جامعات أمريكيّة، ولاحظت كيف أنّ خمسة منهم أغنوا الحياة الجامعيّة في كلّيّة إلينوي، في جاكسون فيل، في إلينوي، وهي الجامعة التي تخرّجت منها شخصيّاً. وفي العام الماضي انتُخب جعفر قطب، وهو مسلم، كضابط متابعة "تشابلين" لجمعيّة المعرفة في الكلّيّة، وكلّ الذين انتخبوه هم زملاء مسيحيّون في نفس الجمعيّة. وفي شهر أيار/مايو من عام 2012 تخرّج طالب آخر، وهو سامر عنبتاوي، بدرجة الشرف. من جانب آخر صنع كيث إيلسون التاريخ، وهو ديمقراطيّ من مينيسوتا، لكونه أوّل مسلم يُنتخب ليكون عضواً في الكونجرس، ثمّ بعد ذلك بأربع سنوات حقّق أندريه كارسون نفس الإنجاز حين أصبح عضواً في الكونجرس أيضاً. وقد نشرت مجلّة "ذا ناشونال جورنال" أنّه في أثناء عضويّته للمرّة الثانية في الكونجرس "قيّمه قادة الديمقراطيّين في الكونجرس" في المرتبة الرابعة من بين "أكثر الأعضاء شعبيّة". وأعلن مايكل بلومبرج، عمدة مدينة نيويورك، أعلن محذّراً في عام 2010: "إنّنا إذا عاملنا المسلمين بشكل مختلف عمّا نعامل الآخرين فسوف نكون قد خنّا مبادئنا، وفعلنا ما يريد أعداؤنا أن نفعل." وقد سخر جون ستيوارت، الممثّل الكوميدي في برنامج ديلي شو، من الإسلاموفوبيا، وقال: "لماذا يقول كلّ إنسان إنّ أمريكا منقسمة على نفسها؟ إنّه يبدو أنّ الريبة في المسلمين هو الشيء الوحيد الذي ينتشر من المحيط إلى المحيط." وفي 2012 وبّخ السيناتور جون ماكّين، المرشّح الجمهوري السابق لرئاسة الجمهوريّة توبيخاً علنياً المرشّح الجمهوري السابق (بالأمل) ميشيل باتشمان لأنّه صرّح بتحذير لا أساس له بأنّ المسلمين المستقرّين في الولايات المتّحدة يمثّلون "مؤامرة" تهدّد البلاد.

رابط قوميّ يكفي لتوثيق الصلة

في 1989 كنت أقدّم سلسلة من المحاضرات في جنوب أفريقيا، وقبل انتهاء السلسلة بقليل لاحظت رجلاً أعرفه يعمل إلى طاولة في مكتب يقع في أحد العمائر في ديربان. كنت قد لاقيت هذا الرجل في حفلة استقبال في الليلة السابقة. وحينما سلّمت على الرجل ابتسم ولم ينطق إلا بجملتين: "أحبّ أن تعرف أن المسلمين يحترمون المشاعر التي تنطق بها الجمل الأولى في إعلان الاستقلال الأمريكيّ." ثم تلا تلك الجمل من ذاكرته: "نحن على ثقة أنّ الحقائق التالية واضحة تمام الوضوح: أنّ كلّ البشر خلقوا متساويين وأنّ الخالق منحهم حقوقاً لا يملك أحدٌ أن يصرفها إلى غيرهم، ومنها حقّ الحياة، والحرّيّة، وطلب السعادة."

هذا كلّ ما قال. لقد نطق بتلك الكلمات وكأنّه يعبّر عن عقيدة يتمسّك بها عن يقين. وفهمت ما قال. فمنذ ثمانين عاماً كان كلّ تلاميذ صفّ الرابع الابتدائي الذي أنا فيه يطلب منهم أن يحفظوا

الكلمات التي ينطقها الإعلان. وأثناء متابعتي الجولات في المناطق الإسلام لاحظت شيئاً أدهشني، وهو أنّ عدداً من المسلمين الآخرين بادروا بالإشارة إلى نفس إعلان الاستقلال دون أن يطلب أحدٌ منهم ذلك. وكان كلّ منهم يتحدث حديثاً من القلب. كان أحدهم يلقي الكلمات من ذاكرته. يتمنّى المرء أن يكون مؤلف وثائق التدريب المعادية للإسلام التي ذكرنا قد سمع وانتفع بمثل هذا الحديث، وكذلك كاتب الكتيّب الذي استخدم في مكتب التحقيقات الفيدرالي. كان بالإمكان له وللمقدّم دولي أن ينتفعا من محاورة جادّة مع أحد المسلمين حول إعلان الاستقلال الأمريكيّ. وكذلك كان بإمكان أن ينتفع القسّ جون هاجي، راعي كنيسة كورنرستون التي يبلغ عدد روّادها 19 ألف عضواً في سان أنتونيو، حيث كثيراً ما يسيء إلى الإسلام من فوق منبره. ألا تتصوّر اندهاشهم لو علموا أن المسلمين يثمّنون وثيقة أمريكا العظيمة في الحريّة. مثل هذا الإثبات يمكن أن يساعد أيّ أمريكيّ قدّمت له معلومات كاذبة محشوّة بالأغاليط أن يكتشف الأرض المشتركة بينه وبين المسلمين الذين يخافهم ويرتاب فيهم. فإذا حصل مثل هذا العرض على نطاق واسع فيمكن أن يوقف بل أن يعكس اتجاه الإسلاموفوبيا. لا ننسَ أنّ ممّا يهدّد مؤشّرات الأمل عاصفة تنذر بنسف الأمل: وهي الموقف الشعبي المؤيّد جدّاً لكبح الحريّات المدنيّة لكلّ المسلمين الأمريكان. فالذي يمثّله هذا التقرير تنبيه لإيقاظ كلّ المهتمّين.

صحيح أنّني لست مسلماً، ولكنّي أشعر أنّ الإسلاموفوبيا مرض يهدّد سلامة حياتي كأمريكيّ. فالقوالب الجامدة من التفكير التي تسيء عرض الدين تنتشر بسرعة، وتمتدّ جذورها، ويصعب اقتلاعها. وهي تهدّد سلامة حياة كلّ الأمريكيّين وسلامة مستقبلهم.

هل يمكنك أن تصنع شيئاً؟

في الوقت الذي يواجه مجتمعنا مشاعر معادية للمسلمين، فإنّ انتظار ما يأتي به الغد ليس فكرة طيّبة. فهذه الأزمة تتطلّب عملاً فوريّاً، وأنت أيها القارئ يمكنك أن تصنع فرقاً. يمكنك أن توقف المدّ المخيف. الخطوة الأولى خطوة سهلة، فحينما تنتهي أسرتك من قراءة هذا الكتيّب أعره لأسرة أخرى، وتابع دورته بين الناس دون توقّف. والخطوة الثانية تتطلّب زيارة أحد المساجد في وقت صلاة الجمعة. فهذه صلاة يجتمع المسلمون لها من كلّ مكان. سوف تجد استقبالاً حارّاً من قبل المسلمين، وهذا ما خبرته بنفسي، فاجلس هناك واستمع، واقضِ بعض الوقت بعد انتهاء طقوس الصلاة. إنّك بمدّ يد الصداقة للمسلمين تشجّعهم أن يقدّموا الشيء الأساسيّ، وهو توضيح حقيقة دينهم للآخرين. وإليك أيضاً هذا المقترح الأخير: حينما تقابل أحداً يعرض صورة زائفة عن الإسلام فاعرض عليه نسخة من هذا الكتيّب "جيران" واطلب منه أو منها أن يقرأه. لا تغادر البيت أبداً بدون بعض النسخ من هذا الكتيّب في جيبك. ما أحلم به أن أجد مئات القراء يعيرون نسخهم لأشخاص آخرين، ويسعون إلى

شراء مقدار آخر من النسخ حتّى يوزّعوها بين الناس. إذا حصل هذا فلن يمرّ وقت إلاّ ولدى ألوف الناس معلومات صحيحة عن المسلمين الأمريكان. فإذا حصل هذا، وكلّما قرأ الكتيّب واحد من الأمريكان فسوف يعني هذا تراجعاً في الإسلاموفوبيا. والنتيجة أن يحصل المسلمون أخيراً على الاحترام والكرامة اللتين يستحقّهما كلّ مواطن، وسوف تستعيد أمريكا مكانها المحترم. لم يبقَ لي إلاّ أن أشكر اهتمامك أيّها القارئ، وأن أعبّر عن ثقتي بمستقبل زاهر لأمريكا من خلال العمل الصالح.

بول فيندلي

عضو في الكونجرس 1961-1983

العنوان

Paul Findley
1040 West College Avenue
Jacksonville, Illinois 62650
Findley1@Frontier.com

هذا الكتيّب نشر من خلال منحة قدّمها ..... إذا أردت الحصول على عدد من النسخ فاكتب إلى ..... أو إلى إيميل: .....

الثمن الباهظ للتحيّز

إنّ الحروب التي أشعلتها الولايات المتّحدة والطائرات بدون طيّار التي تقتل الناس بطريقة غير مقبولة وضعت الإسلام ظلماً في صفّ الأمور البغيضة. كان الرئيس جورج دبليو بوش قد أمر، وبدعم من الكونجرس، بالحرب على أفغانستان، وبعدها بالحرب على العراق. سمّيت الحربان حرباً على "الإرهابيّين المسلمين" الذين تسبّبوا في أحداث أيلول/سبتمبر 2001. لقد نتج عن هاتين الحربين قتل عدد من المسلمين الأبرياء والأمريكان الأبرياء، وحينما تفقد الأرواح فلا يمكن تعويضها بالدولارات. كما إنّ الخسارة في المال، وإن كان المال لا يعادل الأرواح، قد كلّف دافع الضرائب الأمريكي أيضاً مستوى مذهلاً. فبحسب الدراسات التي أجرتها ذا كريستشان ساينس مونيتر ومصادر أخرى، بلغت التكلفة الماليّة المباشرة غير المشروطة للسياسات المتّبعة في الشرق الأوسط المتحيّزة ضدّ المسلمين المحرومين، بلغت منذ 1975 أكثر من 3.7 تريليون دولاراً (ثلاثة آلاف وسبعمئة مليار دولاراً). وكلّ هذه المصاريف تزيد من سوء الإسلاموفوبيا. وثمن هذا التحيّز، إذا اقتصرنا على الغاية المتوخّاة لكلّ نوع من المصاريف بدون مبالغات، تشمل 1.3 تريليون دولاراً مجموع المساعدة المركّبة من الولايات المتّحدة لإسرائيل منذ عام 1975، و 2.4 تريليون مجموع التكاليف الكلّيّة المركّبة للحربين على العراق وأفغانستان. وبما أنّ عدد سكّان الولايات المتحدة الحالي يبلغ 311 مليوناً، أي حوالي 77 مليون عائلة، بمعدّل أربعة

أشخاص للعائلة. فإذا قسمنا المبلغ المذكور، وهو 3.7 تريليون دولاراً على عدد العائلات فإنّ الناتج هو 48181 دولاراً. يعني هذا أنّ المشاركة الماليّة لأسرتك في إنفاق حكومتنا المتحيّز في الشرق الأوسط يبلغ 48181 دولاراً.